

الملاك الاول

تابع صفحة ٢٥٧

ان الحزن والاهتمام والخوف هي من اشد اعداء الحياة البشرية . فويل^١ للانسان الذي تستسلم نفسه لليأس ولم تعد ترى امامها وسيلة تخرج بها من الضنك . فهو ليس الا عبارة عن شخص مقيد لا حراك به ينقار الى العالم ولا يرى فيه الا ظلاماً دامساً وخراباً بلقاعاً . تضيق به الدنيا على اتساعها وعيشاً تغرد له العصافير وتصفق له اوراق الشجر وترقص اغصانها وتشرق الشمس ويطلع القمر . عيشاً كل ما تفعل له الطبيعة . فيجب علينا اذاً ان نتجنب كل الاسباب التي من شأنها جلب الهموم وازعاج العقول كما نتجنب التجارب الموصلة الى الجريمة .

لا شك بان للعقل قوة في اطالة طور الشبونية وازدياد رونق الفتوة وحفظ الجسم في نموه ورواء ما دام معتصماً بالاعتدال . لم يقل شاكسبير « القلب العليل اليمع يعيش طويلاً » ؟

الرجل السعيد هو الذي حصل على سر استدوار المسرات من كل الظروف المحيطة به . المرأة السعيدة هي التي تبهج كيفما كانت الاحوال . هي التي لا تحرم نفسها من هذه السعادة في الشوف والتطاول نحو الغنى والسفر والعلم والمفادات التي ربما لا تصل اليها مطلقاً بل هي السعيدة التي تستدر من كل ما يحيط بها سروراً ولذة وتبهج اليوم بقطع النظر عما يجلبه الغد . وقد لمح المعلم الناصري الى هذا الامر واطلق عبارته القائلة « افرحوا في كل حين »

ان غلادستون السياسي الشهير وهو كان اولي من سواه بالاهتمام بما مضى او بما سيكون قال « لا اذكر بافي فنتدت ساعة واحدة من ساعات نومي بالاهتمام بما مضى او بما سيكون » وهو قد عود نفسه منذ الصغر ان ينظر الى كل الامور بعين السرور وطول البال . هذه هي الحياة الموزونة والمبتهجة في كل حين وسعيد هو الذي اشتركت اخلاقه السامية وعقله الموزون مع طبعه الرضي فتكون كل اقواله وعامله مفيدة ومحيطه سعيد بوجوده .

وسعيد هو الذي يعيش لاسعاد الغير وزيادة الافراح في الكون . كارليل قال عنه انه عظيم ومن هو اعظم منه ان سرور الخدمة الذي يتولد في هذا الرجل او هذه المرأة ما من سعادة اخرى تعادلها . اذا كنت اينها المرأة تهتمين بالجمال وتودين الحصول عليه فاشغلي نفسك بجعل كل من حولك سعيداً فرحاً انعشيم بكلامك . بفحك . باسما ماتك

باخلاصك . لا تنسي ان لطفك تأثيراً شديداً في الكون واعلمي ان الكلمات اللطيفة التي
ينطق بها لوجه البشور هي اطيب من العسل وقطر الشهد شبيهة للنفس وصحة
للعظام .

اذا تقطب وجهك برزت اثماره علقاً فيصبح كل كلامك ملاقاً فارصاً فينتج المشاجرات
الصغيرة والانتقاد الحاد وهذا ما يكثر اكره يوننا ويجب عنا كل سعادة . عيشي للغير
ولاسعادم اكتبي اسمك بشماع الانبهاج في قلوب كل من تعاشرونهم فتخففي لنفسك
تمثالاً للفضيلة لا يحجوه كرور الایام واعمالك واقوالك ستلعم على الارض كما تلعم النجوم
في السماء .

وانت امها الرجل لا تتردد في مدح امرأتك لما تأتيك بما هو حسن فانك تشجعها
وتقودها الى ما هو احسن . وانت ابتها المرأة لا تتردد في مدح ولدك لما يفعل الفضيلة
فانك تحبين اليه ما هو اسمى وافضل . اخل كثيرين يقولون معي يا ليتنا نرى ماتنا ونحس
احياء . تجوز المرأة فيقوم زوجها بواجبها باحسن الايات ويسكب الدمع دماً على نعشها
معدداً حسناتها وقد لا يذكر سيئة واحدة من سيئاتها . فلو فعل ذلك مدة حياتها لاطال
ايامه واباعها بخدمته باكثر امانة واشد حرص . لو بش بوجهها واعتبر الامور الطفيفة التي
كانت تعملها حباً لارضائه وتقاضى عن انتقادها على كل امر طفيف لكان اسعد نفسه
واسعدنا وأطال امده وامدها .

ابتها الوالدة علمي الاولاد ان يسندوا سروراً من كل حاجة وانت ينظروا الوجه
اللامع من كل حادثة . اذا وقع الولد وصدم رجله غملاً حولي انتباهه الى ما هو صار ولا
تدعيه يهتم بلو يلاً بالذي اصابه . اعصاب السغار لا تزال غضة تعمل بها المؤثرات الخارجية
فيكون عليك اذ ذاك تكيف عواطفهم ونعو بدع الانبهاج والبشاشة فانه يصعب عليك
لو تكون هذه الخلقة في الشباب ولربما يستحيل تكونها في الكهولة والشيخوخة . قولي
لذلك الذي صدقته رجله كن شكوراً يا ولدي لانك لم تبتر بكسر بحجر رجلك كما حل برفقتك
ابن جازنا الشهر الماضي . واذا اصاب عينه لطعة اليمه فتولي له ششقي قريباً . اشكر الله
يا ولدي كما انا اشكره . لانه لم يصبك باطفائها بالكلية كما اصاب ذلك الولد الذي يمر من جنب
يتشافتنا ديه الاولاد يا امور . فعليك ابتها المهدبة مسنولة كبيرة وكما تهتمين بتعليم
الاولاد الموسيقي والشعر التصوير وغيرها من الفنون الجميلة يجب عليك ان تفرسي فتمهم
هذه الخلقة الخلوة السرور وتعلمهم ان يتجنبوا الحزن والاهتمام كما يتجنبون المرض

قال احد الفلاسفة كن سعيداً تكون صالحاً فاذا كان الاهتمام عادة قبيحة فعملينا بمحاربته
كل قوانا وتمرين ذواتنا على الابتهاج والضحك ايضاً
فاضحكوا واهزلوا بعض الاحيان . ولماذا ؟

لو عرف البشر ما للضحك من الاممية في حفظ الصحة واطالة الحياة لانتشعت غيوم
المحوم عن الناس وجاع الاطباء . فبالضحك نتمرن الاعضاء المضحية الداخلية على الحركة
وفي ذات الوقت نحصل على سرور وانتعاش فكلما ضحكنا يحدث ارتجاج واهتزاز في الاعضاء
المضحية فتسرع بعملها ويجري الدم في الشرايين الدموية فينتعش الجسم وتبرق الاعين
فيعرض الصدر الذي منه يخرج الهواء الفاسد ومن ثم يدخله الهواء النقي فتحي الرئتان
قال الدكتور بتلر المختبر الشهير والعالم المتفنن في الامراض الجنونية « ان الضحك
القلبي هو احسن دواء للامراض العقلية . فابينا بنكر فعله المنعش انا ليل مزعج او خبر
محزن او فكر مقلق ؟

الذي الحاكم (الموضه) نقول لنا ان الانقسام اذا وصل لحد الضحك كان في السيدات
المهذبات عيباً . ولكن لما كانت تلك الحاكمة الظالمة تقتل النساء بشد الخصور وتعريض
الصدور لهواء السحور وضغط ارجلهن في الصين بقوالب من حديد غيرت تابعيها ونبتت
حكمها وانتشمت الى فئة من البشر تشبه عليها الطبيعة وهي الحاكمة العادلة بان الضحك
من افيد الامور في تغذية عقل الانسان وجسمه

حفظ لنكون في خزانة كتبه بعض اقوال وروايات صغيرة هزلية وكان بلشي اليها
في اوقات الجد وانعقاد الامور السياسية معه وعند قراءتها كان يغرب في الضحك فيحل تلك المقد
بسهولة غريبة ويعود الى عمله فرحاً منشطاً . وذكر بعضهم في كتاب الى صديق له « لولا
المزل الذي يتخلل اوقات الجد والعمل لكنت اموت لا محالة »

فأي الناس لم يجمع او لم يقرأ شيئاً عن مارك توين الكاتب العصري الذي
اشهر برواياته الهزلية الخالية من المحن وكيف كانت الناس تحتف به وتقبل مقامه اقراراً
بتأثير نكاته وهزلياته التي كثيراً ما زينت بحالها في اميركا واوروبا واضحكت ملوكاً على
عروشها . مات في غضون هذه السنة وقد عمدت الجرائد وفاته خسارة جسيمة على عالم
الكتابة والعلم واثبت المتطلف ترجمته في المجلد السادس والثلاثين من هذه السنة . فقدم بعد
هذا الرجل الوقاً بحجانه وسعطى كتاباته سروراً لجواهر من القراء بعد عمانه
قبل الختام اعود اليك واكلمك شخصياً ايها المرأة . ولماذا ؟ قد ذكرت السبب في

اول كلامي وسازيد عليه كلاماً ليس باقل اهمية وهو انك انت محور السعادة في الكون — مهذبة الجيل الثاني — ملكة البيت ومديرة شؤونه — فاذا كنت لا تقدرين ان تجعلي بيتك لامعاً مبهجاً سواء اولى ليكون ملجئاً لزوجك من الاعمال وملاذاً بلوذه من الاتعاب العالمية فمساكين هو رجلك . فهو بالحقيقة بدون مأوى — عالم الرجل هو ملآن من رياح القدر والفن والطمع ومن آفات اللؤم والرداءة التي تهب وتستمر في كل مجتمع انساني فاذا لم تكن البشاشة سائدة بين جدران بيتك فكأنه يلتهم من الرضاء الى النار ويهرب من تحت الدفلة تحت المزاب

سر نجاحك معقود بصفية نفسك . فوجهك لا يكون بشوشاً ان لم تكن مواطفك الداخلية شريفة نقية . كل عاطفة فيك اما ان تزيدك جمالاً واما ان توليك شناعة لان كل ما تعملينه او نقولينه لا يمجى بل يترك تأثيراً في الدماغ والنفس فلا بد لكي تكوني جميلة بشوشة في الخارج ان تكوني مسرورة في الداخل

الاهتمام (التهج) والشراسة واليأس هي ذات تأثير شديد عليك لا بل هي سم قاتل لجسمك . اذا لامح الله رفرف الفقر فوق بيتك واصبح غريباً من كل لامع يبهري وتبين بعجب فلا تنادي بالويل والشبور ولا تقطي وجهك فخرمين ذاتك وذوبك من كل سعادة بل اجتهد ان تعرضي عن المفقود بلطفك وعذوبة كلامك . وعند ما يجبل لك ان الشقاء ضارباً اطناه من كل جهة عليك وليس لديك من قوة تقاومه فاكثري برداء القناعة ولا تحتفري نصيحتي بل انهضي نهار غد واخرجي الى الطبيعة اجيلي نظرك في الارض اولاً ثم حلقي به في عنان السماء ثانياً من حيث ينبعث اليك شرارات من الوحي الالهي قتربك ان الله قد كسى الارض بحلة زاهية كله من اجلك . وعلم العاصف ان تغرد بانغامها الموسيقية كي تطربك . ستبين ان الكون بأسره ينتم لك فيخيل اليك ان الجو أكثر صفاء من المعتاد . وثوب الارض اشد خضرة — وان الاشجار أكثر غضاضة . والازهار ازكي عطراً — وان الهواء اطيب وانعش — وان العاصف تغرد بأكثر حلاوة . فالحياة عظيمة وما الدهاء !! ما اجل ان تفتحي عينيك في الصباح وتظفري الى كل هذه الامور . لتنتشي الهواء النقي وتنمتي بالغزالة الطالعة . لتشعري بان نبضك يدق واصحابك شديدة حية . تحسبك ان الحياة كلها لك . والعالم لك . وكل ما فيه جميل . فالسما والملائكة هي هنا وعندنا والا فلا وجود لها على الاطلاق .